سلسلة أحاديث في الدعوة والتوجيه

٥

حديث
المؤمن القوي
خير وأحب إلى الله
وقفات وتأملات

أ.د. فالح بن محمد الصغير

الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار ابن الأثير

سلسلة أحاديث في الدعوة والتوجيه ٥

حديث

المؤمن القوي

خيرٌ وأحبُّ إلى الله

وقفات وتأملات

إعداد

أ.د. فالح بن محمد بن فالح الصغيِّر

الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار ابن الأثير

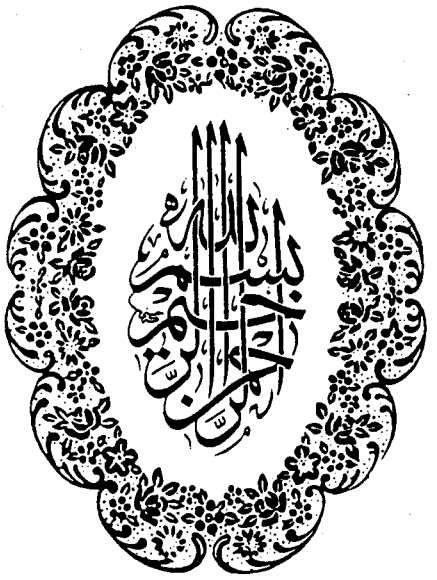
بسم الله الرحمن الرحيم

حديث

المؤمن القوي

خيرٌ وأحبُّ إلى الله

وقفات وتأملات

ⓒ دار ابن الأثير للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الصغير، فالح بن محمد
حديث المؤمن القوي خير وأحب إلى الله. . . : وقفات وتأملات. ـ الرياض.
٨٠ص؛ ١٧ × ٢٤سم
ردمك: ١-٤٧-٨٧٣-٩٩٦٠
١ ـ الأخلاق الإسلامية ٢ـ الحديث - مباحث عامة أ ـ العنوان
ديوي ٢,٢١٢ ٢٣/٣٦٥٩

رقم الإيداع ٢٣/٣٦٥٩
ردمك: ١-٤٧-٨٧٣-٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار ابن الأثير
المملكة العربية السعودية ـ ص.ب ٦٤٣٧٧ الرياض ١١٥٣٦
هاتف: ٤٢٨٥٣٩٠ ـ المعرض: ٢٦٧٧٥٨٤ ـ فاكس: ٢٦٧٢٥٥٨
التوزيع: ٠٥٠٦١٠٨٦٦٧ ـ ٠٥٠٦١٠٨٧٠٧ ـ الغربية: ٠٥٠٦٤١٦٠١٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإيمان، وأكمل علينا دين الإسلام، ورضيه لنا ديناً، وأتمَّ علينا نعمته، وأسبغ علينا فضله ومنته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فمن فضل الله تعالى على هذه الأمة أن جعل نبيه ﷺ حريصاً على أمَّته فلم يترك خيراً إلا دلَّها عليه، ولا شرًّا إلا حذَّرها منه، وتركها على محجة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

ولأن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، فكلامه نور ينير الطريق لسالكه، وهدىً يهديه إلى طريق قويم وسبيلٌ يوصله إلى السعادة في الدنيا والآخرة، فمن الخير للمسلم، والسعادة له أن يعيش في ظلال توجيهاته وإرشاداته،

وليعلم أن طاعة الرسول ﷺ من أوجب الواجبات وأهم المهمات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. وأمرنا الله سبحانه بامتثال ما يقوله الرسول ﷺ ويوجه به وحذَّرنا مما ينهى عنه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الحشر: ٧]، ورتَّب على اتباعه محبته سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

والرسول ﷺ هو الأسوة الحسنة للأمة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]، ولذا قد أمرنا الرسول عليه الصلاة والسلام بالتمسك بسنته كما في حديث العرباض بن سارية: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ...**»[(١)]. كما على المسلم أن يعلم أن توجيهات النبي ﷺ غاية في الأهمية، إذ ينبني عليها سلوك المسلم في هذه الحياة، وتزداد أهميتها إذا كانت في باب الاعتقاد؛ إذ أن العقيدة إذا صحَّت صحَّ العمل وإذا فسدت فسد العمل.

---

(١) رواه أبوداود في السُّنَّة، باب في لزوم السنة (٤٦٠٧)، والترمذي في العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسُّنَّة واجتناب البدعة (٢٦٧٦)، وابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٤٢)، وأحمد بأرقام (١٦٦٩٢، ١٦٦٩٤، ١٦٦٩٥).

كما أنه ﷺ قد أعطي جوامع الكلم، جمع الله له في الألفاظ اليسيرة المعاني الكثيرة العظيمة، فمن أقواله النيِّرة التي تُنير الدرب للمسلم في باب العقيدة ما رواه الإمام مسلم قال: حَدَّثَنَا أَبُوبَكْرِ بْنُ أبي شَيْبَةَ وَابْنُ نُمَيْرٍ قَالا: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ إِدْرِيسَ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ عَن الأَعْرَجِ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِن الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**».

هذا الحديث الجامع يحتوي على أصول عظيمة، وقواعد جامعة تمثل منهجاً يتعامل فيه المسلم في حياته بل مع حركة الحياة كلها، يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «هذا الحديث مما لا يستغني عنه العبد أبداً، بل هو أشد ضرورة إليه».

وفي هذه الوريقات وقفات مع هذا الحديث نُبيِّن فيها كيف يتعامل المسلم بمدلوله في حياته كلها بعد تخريجه وعزوه.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الكلمات وأن يجعلها من المدخرات في الحياة وبعد الممات، حقق الله الآمال، وسدد الخُطىٰ، وعلَّمنا ما ينفعنا ونفعنا بما علمنا، إنه عليم حكيم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه
فالح بن محمد بن فالح الصغيِّر
ص.ب ٤١٩٦١ الرياض ١١٥٣١
البريد الإلكتروني: falehmalsgair@yahoo.com

نص الحديث وتخريجه

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِن الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ باللهِ، وَلا تَعْجَزْ، وإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

رواه مسلم بهذا اللفظ(١).

ورواه ابن ماجه بلفظ: «فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا»(٢)، وفي لفظ آخر له: «فَإِنْ غَلَبَك أَمْرٌ فَقُلْ: قَدَرُ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، وَإِيَّاكَ وَاللَّوْ فَإِنَّ اللَّوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» وليس فيه لفظ: «واستعن بالله»(٣).

ورواه أحمد بلفظ: «فَإِنْ غَلَبَك أَمْرٌ فَقُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ صَنَعَ، وَإِيَّاكَ وَاللَّوْ فَإِنَّ اللَّوْ يُفْتَحُ مِنَ الشَّيْطَانِ». وليس فيه لفظ: «واستعن بالله»(٤). وفي لفظ آخر له: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ أَوْ أَفْضَلُ

---

(١) «صحيح مسلم»، كتاب القدر، باب الإيمان بالقدر والإذعان له (٢٦٦٤).
(٢) «سنن ابن ماجه»، المقدمة، باب في الإيمان (٧٩).
(٣) «سنن ابن ماجه»، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين (٤١٦٨).
(٤) رواه أحمد في «باقي مسند المكثرين» (٣/ ٥٥) (٨٥٧٣).

وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِن الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَكُلٌّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَلا تَعْجَزْ، فَإِنْ غَلَبَك أَمْرٌ فَقُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ صَنَعَ، وَإِيَّاكَ وَاللَّوْ فَإِنَّ اللَّوْ يُفْتَحُ مِنَ الشَّيْطَانِ»[١].

* * *

(١) رواه أحمد في «باقي مسند المكثرين» (٣/ ٦٢) (٨٦١١).

فقــه الحديــث

الوقفة الأولى: محبة الله تعالى لعباده المؤمنين

الحديث عن محبة الله سبحانه لعباده المخلصين حديث تحبه النفوس المؤمنة، وترغبه الأنفس الطموحة، وتهواه القلوب السليمة، وفي هذا الحديث بيَّن الرسول ﷺ أن الله تعالى يحب، فالمحبة صفة لله عز وجل نثبتها كما أثبتها رسوله ﷺ على الوجه اللائق به جل وعلا من غير تحريف لها ولا تعطيل لمعناها، ولا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل لها.

من الذي يحبه الله سبحانه وتعالى؟

ذكر الرسول ﷺ في هذا الحديث أن الله سبحانه وتعالى يحب المؤمن، وأن هذه المحبة تزداد للمؤمن القوي، كما أنه تعالى: يحب المتقين، ويحب المحسنين، ويحب المتوكلين، ويحب الصابرين، ويحب الشاكرين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويحب المقسطين، ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفًّا كأنهم بنيان مرصوص، وهو وتر يحب الوتر، وجميل يحب الجمال، ورفيق يحب الرفق، وهو عفو يحب العفو، وهو طيب يحب الطيب، وهو حيي ستير يحب الحياء والستر، ويحب العطاس، ويحب العبد

التقي الغني الخفي، ويحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا العيال، ويحب سمح البيع وسمح الشراء وسمح القضاء، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده، ويحب أن يُسأل، ويحب أن تؤتى رخصه، ومن أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه، ومن الغيرة ما يحب الله عز وجل[١].

فالمؤمن الحصيف هو الذي يسعى لجلب محبة الله تعالى له بعمل ما يجلبها فيحرص على هذه الصفات المحمودة: من الإيمان والتقوى والصبر والشكر والعفو والتوكل والجمال والنظافة وغيرها مما يستجلب به محبة الله تعالى، وأن يحرص على الأعمال الصالحة التي تقربه إلى محبة الله عز وجل.

أثر محبة الله للعبد:

لمحبة الله تعالى أثر عظيم بيَّنها النبي ﷺ فيما جاء في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْداً نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاناً فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاناً فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ»[٢].

---

(١) هذه كلها وردت بها نصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية، تركتها للاختصار.

(٢) رواه البخاري في التوحيد، باب كلام الرب تعالى مع جبريل ونداء الله الملائكة (٧٤٨٥)، ومسلم في البر والصلة، باب إذا أحب الله عبداً أمر جبرئيل فأحبه وأحبه =

وكلما كان المسلم أقوى تمسكاً في هذه الصفات التي تجلب محبة الله ازدادت محبة الله تعالى له، وهي غاية يجب أن يعمل المسلم للوصول إليها.

فَمَن هذا المغبون الذي لا يريد محبة الله عز وجل؟ إن ذاك هو الخاسر الذي خسر الدنيا والآخرة بخسران محبة الله تعالى!!

الأعمال التي تجلب محبة الله سبحانه وتعالى:

لمحبة الله تعالى عوامل تجلبها، ومنها:

١ ـ الإيمان القوي، وهو ما دلَّ عليه هذا الحديث.

٢ ـ أداء الفرائض، جاء في الصحيح: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ**»(١).

٣ ـ المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها مع الجماعة، ففي صحيح البخاري عن عَبْدِ اللهِ بن مسعود قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا»(٢). وكذا صلاة الليل، قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَحَبُّ الصَّلاةِ إِلَى اللهِ صَلاةُ دَاوُدَ عليه السلام، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللهِ صِيَامُ دَاوُدَ، وَكَانَ**

= أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض (٢٦٣٧).

(١) رواه البخاري في الرقاق، باب التواضع (٦٥٠٢).

(٢) رواه البخاري في مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها (٥٢٧)، ومسلم في الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (٨٥).

يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْماً وَيُفْطِرُ يَوْماً»(١). وفي رواية أبي داود قال ﷺ: «وَإِنَّ الصَّفَّ الأَوَّلَ عَلَى مِثْلِ صَفِّ الْمَلائِكَةِ، وَلَوْ عَلِمْتُمْ مَا فَضِيلَتُهُ لابْتَدَرْتُمُوهُ، وَإِنَّ صَلاةَ الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلِ أَزْكَى مِنْ صَلاتِهِ وَحْدَهُ، وَصَلاتُهُ مَعَ الرَّجُلَيْنِ أَزْكَى مِنْ صَلاتِهِ مَعَ الرَّجُلِ، وَمَا كَثُرَ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى»(٢).

٤ ـ صلة الرحم وبر الوالدين خاصة، ففي تتمة حديث ابن مسعود السابق قَالَ ابن مسعود: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ».

٥ ـ الجهاد في سبيل الله بمراتبه وأنواعه، ففي تتمة حديث ابن مسعود السابق قَالَ ابن مسعود: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ». وفي صحيح مسلم وغيره عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»(٣).

٦ ـ التقرب بالنوافل، جاء في الصحيح: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ

---

(١) رواه البخاري في التهجد، باب من نام عند السحر (١١٣١)، ومسلم في الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، أو فوت به حق أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم (١٨٩ ـ [١١٥٩]).

(٢) رواه أبوداود في الصلاة، باب في فضل صلاة الجماعة (٥٥٤).

(٣) رواه مسلم في الإمارة، باب ذم من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بالغزو (١٩١٠).

وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ»(١).

٧ ـ المداومة على فعل الطاعات ولو كانت تلك الطاعات قليلة في نظره، ففي الحديث: «وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ» رواه البخاري(٢).

وفي رواية مسلم: «وإن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه وإن قل، وكان آل محمد ﷺ إذا عملوا عملاً أثبتوه»(٣).

٨ ـ كثرة ذِكر الله تعالى باللسان والقلب والجوارح، كما في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم، وإن تقرب إليَّ بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»(٤)، ومصداقه قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ومن

---

(١) رواه البخاري في الرقاق، باب التواضع (٦٥٠٢).
(٢) رواه البخاري في الإيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه (٤٣).
(٣) رواه مسلم في صلاة المسافرين، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، والأمر بالاقتصاد في العبادة، وهو أن يأخذ منها ما يطيق الدوام عليه، وأمر من كان في صلاة وفتر عنها ولحقه ملل ونحوه بأن يتركها حتى يزول ذلك (٧٨٢).
(٤) رواه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ (٧٤٠٥)، ومسلم في الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله تعالى (٢٦٧٥).

أعظم الذكر قراءة كتابه تعالى، فلا شيء عند المحبين أحلى من كلام محبوبهم، فهو لذة قلوبهم، وغاية مطلوبهم، فعن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه**»(١). ويستحب إذا ذكر الله بغير القرآن أن يختار من الأذكار ما هو أفضل وأبلغ في المعاني، فعن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحب الكلام إلى الله أربع: سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ**»(٢)، وفي رواية أخرى عن أبي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلامِ إِلَى اللهِ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلامِ إِلَى اللهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَحَبَّ الْكَلامِ إِلَى اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**»(٣).

بناءً على ذلك فمن المستحسن أن يكون للمسلم:

(أ) حزب يومي من تلاوة القرآن فلا يدعه في أي من الأحوال وأي ظرف من الظروف.

(ب) وأن يحافظ على الأذكار في الصباح والمساء، وعند دخول المسجد وخروجه، وعند دخول البيت وخروجه، عند الأكل والشرب وهكذا في كل ما ورد من الأحوال.

---

(١) رواه البخاري في فضائل القرآن، باب خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه (٥٠٢٧).
(٢) رواه مسلم في الآداب، باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة وبنافع ونحوه (٢١٣٧).
(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء، باب فضل سبحان الله وبحمده (٢٧٣١).

٩ ـ أن يحب رسول الله ﷺ، ففي الصحيحين عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ «أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلاةٍ وَلا صَوْمٍ وَلا صَدَقَةٍ وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»(١).

١٠ ـ محبة أصحابه وآله، فإن ذلك يجلب محبة الله تعالى، فعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سُوقٍ مِنْ أَسْوَاقَ الْمَدِينَةِ فَانْصَرَفَ فَانْصَرَفتُ فَقَالَ: أَيْنَ لُكَعُ ثَلاثاً ادْعُ الْحَسَنَ بْنِ عَلِيٍّ. فَقَامَ الْحَسَنُ بْنَ عَلِيٍّ يَمْشِي وَفِي عُنُقِهِ السِّخَابُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ هَكَذَا، فَقَالَ الْحَسَنُ بِيَدِهِ هَكَذَا، فَالْتَزَمَهُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ. وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِن الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بَعْدَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا قَالَ(٢).

ولكن ليكن ذلك بدون غلو بأن يوصلهم إلى منزلة رسول الله ﷺ أو يفضلهم عليه.

---

(١) رواه البخاري في الأدب، باب علامة الحب في الله لقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ (٦١٧١)، ومسلم في البر والصلة، باب المرء مع من أحب (٢٦٣٩).

(٢) رواه البخاري في اللباس، باب السخاب للصبيان (٥٨٨٤)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما (٢٤٢١).

١١ ـ محبة أحباب الله وأوليائه، فتحبهم وتحب الخير لهم، وتتمنى لهم الخير وتدعو لهم، وتقول في دعائك: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠] وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ لأُنَاساً مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُم الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِن اللهِ تَعَالَى. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ عَلَى غِيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنها، فَوَاللهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ، لا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ. وَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢]»[(١)].

١٢ ـ الإكثار من أعمال البر وخاصة في مواسم الخيرات مثل رمضان وعشر ذي الحجة فإن الأجر فيها مضاعف والأعمال فيها أحب إلى الله، فعَن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ ـ يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ ـ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَلا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: وَلا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ

(١) رواه أبوداود في البيوع، باب في الرهن (٣٥٢٧).

فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ»[(١)].

١٣ ـ البُعد عن المحرمات صغيرها وكبيرها.

١٤ ـ الحرص كل الحرص على متابعة الرسول ﷺ، يقول تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

١٥ ـ أن يكون في استعداد تام للقاء الله عز وجل في كل حين حيث يؤدي كل ما يجب عليه من حقوق ربه وحقوق الآدميين، فمن يكون كذلك فهو المستعد للقاء الله عز وجل وهو قد أحبه الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»[(٢)].

١٦ ـ وفي حديث أبي ذر عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلاثَةٌ يُحِبُّهُم اللهُ وَثَلاثَةٌ يُبْغِضُهُم اللهُ؛ فَأَمَّا الَّذِينَ يُحِبُّهُم اللهُ: فَرَجُلٌ أَتَىٰ قَوْماً فَسَأَلَهُمْ بِاللهِ وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ بِقَرَابَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَمَنَعُوهُ فَتَخَلَّفَ

---

(١) رواه البخاري في العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق (٩٦٩)، وأبوداود ـ واللفظ له ـ في الصيام، باب في صوم العشر (٢٤٣٨).

(٢) رواه البخاري في الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (٦٥٠٧)، ومسلم في الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه (٢٤٢١).

رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًّا لا يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إلا اللهُ وَالَّذِي أَعْطَاهُ، وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَتَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يُعْدَلُ بِهِ نَزَلُوا فَوَضَعُوا رُءُوسَهُمْ فَقَامَ أَحَدُهُمْ يَتَمَلَّقُنِي وَيَتْلُو آيَاتِي، وَرَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ فَلَقِيَ الْعَدُوَّ فَهُزِمُوا وَأَقْبَلَ بِصَدْرِهِ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يُفْتَحَ لَهُ، وَالثَّلاثَةُ الَّذِينَ يُبْغِضُهُم اللهُ: الشَّيْخُ الزَّانِي، وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ، وَالْغَنِيُّ الظَّلُومُ»[1].

وبعد: فمحبة الله غالية والطريق إليها سهل وميسور، فعلى العبد أن يتقي الله وأن يختار من الأعمال والأقوال والأخلاق ما يحببه إلى الله ويقربه إليه فإن في ذلك السعادة في الدنيا والآخرة، ومن أحبه الله: كان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وكان من أوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

* * *

(١) رواه الترمذي في صفة الجنة، باب أحاديث في صفة الثلاثة الذين يحبهم الله (٢٥٦٨)، والنسائي في الصلاة، باب فضل صلاة الليل في السفر (١٦١٦)، وفي الزكاة، باب من يسأل بالله عز وجل ولا يعطى به (٢٥٧١).

الوقفة الثانية: القوة والضعف للمؤمن

وهذه وقفة مهمة؛ بيَّن فيها الرسول ﷺ أمراً مهمًّا وجديراً بالوقوف معه وتأمله:

الإنسان بطبيعته مخلوق ضعيف: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٨]، لكنه يكون قويًّا إذا ما باشر أسباب القوة وتمسَّك بمنهجها، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢١]. هذه صفة الإنسان لكنه يتحول عن هذه الصفة المشينة إذا عمل أسباب هذا التحول، فذكر الله تعالى هذه الأسباب فقال: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج: ٢٢ ـ ٣٥].

والرسول ﷺ أطلق هنا هذه القوة فعرفنا أنها عامة تشمل:

١ ـ القوة الإيمانية التي ترسخ في قلب المؤمن لا يزعزعها شك، ولا تخدشها شبهة، ولا تعصف بها شهوة، ولو كان المؤمن

ضعيف الجسم ولكن إيمانه يكون أقوى من الجبال، وقد ضحك بعض الناس لدقة ساق ابن مسعود رضي الله عنه، فأخبر الرسول عليه الصلاة والسلام أنه أثقل في الميزان من جبل أُحُد، ففي مسند أحمد عن عَلِيٍّ رضي الله عنه قال: أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ ابْنَ مَسْعُودٍ فَصَعِدَ عَلَى شَجَرَةٍ أَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنْهَا بِشَيْءٍ فَنَظَرَ أَصْحَابُهُ إِلَى سَاقِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ حِينَ صَعِدَ الشَّجَرَةَ فَضَحِكُوا مِنْ حُمُوشَةِ سَاقَيْهِ ـ أي دقة أقدامه وصغرها ـ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟ لَرِجْلُ عَبدِ اللهِ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أُحُدٍ»[١].

والقوة الإيمانية لا تأتي حتى يعمل العبد بأسبابها وعواملها، وهي:

(أ) **التعلُّق بالله**، فكلما كانت علاقة العبد بالله قوية تزداد قوَّته الإيمانية وتنمو، فلا يرجو إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يحب أو يبغض إلا لله سبحانه وتعالى.

(ب) **الدعاء**، فالعبد فقير محتاج ضعيف، لا حول له ولا قوة إلا بالله، فعليه أن يتوجه إلى ربه في كل صغير وكبير، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِيَسْأَلْ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتَهُ كُلَّهَا حَتَّى يَسْأَلَ شِسْعَ نَعْلِهِ إِذَا انْقَطَعَ»[٢]. أي جلد نعله الذي يربط به.

---

(١) رواه أحمد في «مسند العشرة المبشرين بالجنة» (٩٢٢).
(٢) رواه الترمذي في الدعوات، باب ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها (٣٦٠٤).

(جـ) التفكُّر في مخلوقات الله تعالى واستشعار عظمة الله جل جلاله، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: يفهمون ما فيهما من الحِكَم الدالة على عظمة الخالق وقدرته وعلمه وحكمته واختياره ورحمته، وقد ذمَّ الله تعالى مَن لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته وشرعه وقدره وآياته.

(د) العلم، والعبد كلما زاد تفقهه في الدين زادت قوّته الإيمانية، ومَن يُرِد الله به خيراً يفقهه في الدين.

(هـ) الذِكر، قد سبق أن ذِكْرَ الله تعالى يُقَرِّب العبد إلى الله ويزيد في قوّته الإيمانية، وذِكْر الله سلاح قوي ضد الشيطان وأعوانه، فالعبد المؤمن يكون لسانه رطباً بذكر الله عز وجل.

(و) قراءة القرآن، ليس كلام أحب إلى الله من كتابه عز وجل، فعلى العبد أن يتقرَّب إلى الله بتلاوته وفهمه والعمل بأوامره والانتهاء من نواهيه.

(ز) الأعمال الصالحة، وكل عمل صالح أخلصه صاحبه لله عز وجل يقوّي إيمان العبد يزيده.

٢ ـ القوة العلمية التي تقود الإنسان إلى الإيمان القوي والعمل

الصحيح والسلوك المستقيم، جاء في الصحيح: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»(١). وفضل العالِم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإنما فَضْلُه هذا لما علم، ولما عمل بما علم، ولما صبر وجاهد في تحمل هذا العلم، ولما نشر هذا العلم، فكان نوراً يستضاء به، ومشعلاً يقود الناس إلى الخير، ويدل الأمة على ما يصلح به حالها.

والخيرية لا تأتي إلا بالعلم والإيمان والعمل والدعوة إلى الخير والنهي عن الشر، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤]، وفي السنة عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أبيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَلَّمَ عِلْماً فَلَهُ أَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهِ لا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الْعَامِلِ»(٢).

وللقوة العلمية عوامل كثيرة أهمها:

(أ) الإخلاص لله عز وجل؛ لأن تعلم العلم من أهم الطاعات، والله لا يوفق إليه من كان خالياً من الإخلاص.

---

(١) رواه البخاري في العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (٧١)، ومسلم في الزكاة، باب النهي عن المسألة (١٠٣٧).

(٢) رواه ابن ماجه في المقدمة، باب ثواب معلم الناس (٢٤٠).

(ب) **ملازمة الخشية والمراقبة لله سبحانه وتعالى**، فإنما يخشىٰ الله من عباده العلماء، ومن لم يخش الله فليس من أهل العلم.

(جـ) **الرفق وعدم الاستعجال**، فإن الله رفيق يحب الرفق.

(د) **الصبر والمصابرة**، فإن طريق العلم طويل وشاق، فلابدَّ من الصبر على طلبه.

(هـ) **الحرص على حفظ القرآن الكريم وأحاديث من السنة النبوية ومتون أخرى.**

(و) **مواصلة طلب العلم والقراءة والبحث والمناقشة**[1].

٣ ـ **القوة الثالثة: القوة الإرادية النفسية التي لا يبقى بها المؤمن ضعيف الهِمَّة**، خائر العزيمة، كسلان فاتراً، وإنما ينبعث انبعاث الواثق من نفسه، ومن الحق الذي يمتثله، مواجهاً المثبطات والمغريات والشهوات والشبهات بكل قوة وشجاعة خلافاً لمن يعبد الله على حرف إن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد، وأسرع خروجاً إليه، وذهاباً في طلبه، وأشد

---

(١) ينظر: «المنهجية في طلب العلم» ففيها مزيد فوائد في هذا الموضوع.

عزيمة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلباً لها، ومحافظة عليها ونحو ذلك»[١].

فالمؤمن القوي صاحب الإرادة القوية أمام الشبهات وأمام الشهوات والمغريات ثابت لا يتزعزع، ثم أمام عمل الطاعات فيقبل عليها، عاملاً لها بكل إرادة وعزيمة فتسهل أمامه، ولا تكون كالجبل الثقيل عليه. وكان من دعاء النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَأَسْأَلُكَ عَزِيمَةَ الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ لِسَاناً صَادِقاً وَقَلْباً سَلِيماً، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ**»[٢].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، قال قتادة: أمر الله نبيه ﷺ، إذا عزم على أمر أن يمضي عليه، ويستقيم على أمر الله، ويتوكل على الله[٣].

وأهم عوامل القوة النفسية الإيمان بالله وحده والثقة به

---

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٦/ ٤٣١).

(٢) رواه الترمذي في الدعوات، باب من [دعاء: الله إني أسألك الثبات في الأمر...] (٣٤٠٧) والنسائي في السهو، نوع آخر من الدعاء (١٣٠٥).

(٣) تفسير الطبري، سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

والتوكل عليه والدعاء إليه ومواجهة كل أمر بالاستعانة بالله ثم بثقة النفس.

٤ ـ **والقوة الرابعة: القوة البدنية** التي تكون دليلاً وعاملاً قويًا لعمل الصالحات، فيستغل المؤمن هذه القوة بزيادة ما يقربه إلى محبة مولاه، من صلاة، وصيام، وجهاد، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإعانة الضعيف، ونصر المظلوم، وعليه ألا يكون همه استزادة القوة في البدن دون أدنى نية في استخدام هذه القوة في طاعة الله فيكون كالأنعام بل أضل سبيلاً.

فالمؤمن القوي يكون أسوته الرسول ﷺ والصحابة مثل أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وحمزة أسد الله وأسد رسوله ومصعب بن عمير وخالد بن الوليد وأبي دجانة رضي الله عنهم وغيرهم، ففي صحيح مسلم: عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ سَيْفاً يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: «مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟» فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟» قَالَ: فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ. قَالَ: فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ[1].

هذه أمثلة على القوة التي يحبها الله تعالى ويريدها أن تكون في المؤمن.

---

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي دجانة سماك بن خرشة رضي الله تعالى عنه (٢٤٧٠).

بقي أن نعلم أن المسلم في هذا الوقت وفي كل وقت يواجه مخاطر كثيرة تحتاج إلى القوة الإيمانية والعلمية والإرادية النفسية والبدنية فيعمل بالعوامل التي تقوي إيمانه، وتزيد في تمكُّنه العلمي، وتثبّت إرادته تجاه العواصف والمخاطر التي تحيط به من هنا أو هناك. فالعمل للحق ونشره، ومقاومة الباطل وأهله، ومدافعة الشيطان وهوى النفس، ومغالبة المغريات والشهوات، والتغلُّب على الشبهات والافتراءات كلها تحتاج إلى قوة ليصل المسلم إلى مبتغاه في الدنيا والآخرة.

الوقفة الثالثة: وفي كل خير

يربي هذا الدين في النفوس حب الآخرين واحترامهم وتقدير أعمالهم والثناء عليهم إذا عملوا عملاً جيداً، فلا نحتقرهم أو نغض الطرف عن حقوقهم، وفوق ذلك أننا إذا وجدنا عند أحد أدنى شيء من الخير نقدر هذا الخير ونستثمره، وهو ظاهر في هذا الحديث حيث ذكر رسول الله ﷺ قوة الإيمان وضعفه في أفراد الأمة ثم بيَّن أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، ولكن لم ينف عن المؤمن الضعيف الخيرية نفياً كليًّا بل قال: «وفي كل خير». قال النووي: معناه: في كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات.

فالخيرية موجودة في كل أفراد الأُمَّة، والذي يحتقر الآخرين لأنه قوي لم يعرف حق المعرفة مفهوم هذا الحديث، بل إن احتقاره الآخرين يكون بسبب تكبُّره وتعاليه عليهم، والكبر لا يليق بالمؤمن؛ لأنه يحرمه دخول الجنة، ففي حديث مسلم وغيره عن عبدالله بن مسعود عن النبيِّ ﷺ قال: «**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**». قال رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَناً وَنَعْلُهُ حَسَنَةً؟ قال: «**إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ**

الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»[١].

وكما يعلمنا الإسلام أن نثني على مَن يستحق الثناء ونشكر لمن أحسن إلينا، وإذا وجدنا أدنى خير عند أحد نحثه على الاستكثار من هذا الخير ونوصيه على الاستمرار فيه، وإذا وجدنا الزلل أو الخطأ عند البعض نصلحه دون أن نجرح مشاعره.

ففي حديث رواه ابن ماجه وأحمد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ: «أَيَّ حِينٍ تُوتِرُ؟ قَالَ: أَوَّلَ اللَّيْلِ بَعْدَ الْعَتَمَةِ، قَالَ: فَأَنْتَ يَا عُمَرُ؟ فَقَالَ: آخِرَ اللَّيْلِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ فَأَخَذْتَ بِالْوُثْقَىٰ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا عُمَرُ فَأَخَذْتَ بِالْقُوَّةِ»[٢].

في هذا الحديث أثنىٰ رسول الله ﷺ على كل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ لأن كلًّا منهما عمل بما يستحق الثناء والمدح.

ولننظر كذلك إلى توجيه لطيف من رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما لمَّا قصَّ عليه ما رآه في الليل من الرؤيا، فعَنْ سَالِمٍ عَنْ أبيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا رَأَىٰ رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَىٰ رُؤْيَا فَأَقُصَّهَا

---

(١) رواه مسلم في الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (٩١) وبطر الحق: أي دفعه، وغمط الناس: هو احتقارهم.

(٢) رواه ابن ماجه في إقامة الصلوات، باب ما جاء في الوتر أول الليل (١٢٠٢).

عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكُنْتُ غُلاماً شَابًّا، وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّار، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ، وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ، وَإِذَا فِيهَا أُنَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ باللهِ مِن النَّار، قَالَ: فَلَقِيَنَا مَلَكٌ آخَرُ فَقَالَ لِي: لَمْ تُرَعْ[1]. فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِن اللَّيْلِ». فَكَانَ بَعْدُ لا يَنَامُ مِن اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلاً[2].

وهكذا يكون التوجيه، وهكذا يكون الإصلاح، لا يكون بالتعنيف ولا بالتجريح، بل بكلمة طيبة وتوجيه لطيف وقول حسن، فالرجل إذا رأىٰ في نفسه خيراً فليحمد الله وليزدد من طاعته ويحمد الله على توفيقه للخير ولا يكون ذلك ذريعة لاحتقار من دونه، جاء في الحديث أن أحداً ممن يرى في نفسه خيراً وكان أحد معارفه لم يكن مستقيماً فقال: لا يغفر الله له فغفر الله له وجعل هذا العابد في النار، فعن جُنْدَبٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَ «أَنَّ رَجُلاً قَالَ: وَاللهِ لا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّىٰ عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلانٍ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»، أَوْ كَمَا قَال[3].

---

(١) لم تُرَعْ أي لم تخف.

(٢) رواه البخاري في التهجد، باب فضل قيام الليل (١١٢١، ١١٢٢)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل [عبدالله] بن عمر رضي الله عنهما (٢٤٧٩).

(٣) رواه مسلم في البر والصلة، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى =

وفي حديث أبي هريرة قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كَانَ رَجُلانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ فَوَجَدَهُ يَوْمَاً عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيباً؟ فَقَالَ: وَاللهِ لا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ أَوْ لا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِماً أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِراً؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَىٰ النَّارِ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ[1].

نعم، تكلم بكلمة خرّبت دنياه وآخرته، فعلى المسلم قبل أن يتكلم في الآخر أن ينظر عاقبته، قد يتكلم بكلمة لا يلقي لها بالاً يقع بها في النار كما في حديث أبي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»[2].

= (٢٦٢١).

(١) رواه أبوداود في الأدب، باب في النهي عن البغي (٤٩٠١)، وأحمد في مسند المكثرين (٨٠٩٣، ٨٥٣١).

(٢) رواه البخاري في الرقاق، باب حفظ اللسان (٦٤٧٨)، ومسلم في الزهد، باب =

فلابدَّ للمسلم أن يكون ليِّن الكلام هادئاً متواضعاً خاشعاً صبوراً لا يتعالىٰ على الآخرين ولا يفخر ولا يتكبر ولا يتغطرس، عملاً بقول الرسول ﷺ: «وَإِنَّ اللهَ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»(١).

فالذي في قلبه إيمان ولو بأقل مقدار ففيه خير ولا ينبغي لأحد من المسلمين أن ينظر إليه بنظرة الاحتقار والازدراء، بل يدعوه إلى الخير بأسلوب حسن، ويدعو الله له بالتوفيق.

* * *

كما أن على المسلم أن يستغل الخيرية التي رزقه الله تعالى إياها فينميها ويزيدها فإذا كان هذا الشخص مثلاً يحب خدمة الآخرين ونفعهم فلينمِّ هذا الجانب لديه ويركز عليه ويبذل فيه حتى يبدع فيه، وهكذا من يحب العلم وعنده قدرة على الطلب ولو في جانب من العلم كالفقه والتوحيد، ومثله قراءة القرآن وإقراؤه وهكذا ففي كل خير.

وهمسة هنا في أُذُن كل معلم ومعلمة، وأب وأم، ومرب

= حفظ اللسان (٢٩٨٨).

(١) رواه مسلم في الجنة ونعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٢٨٨٦٥).

ومربية؛ لينظروا إلى من تحت أيديهم ليستغلوا ما فيهم من الخيرية التي رزقهم الله إياها وإن كانت في نظرهم أنها ليست ذات أهمية، فمراعاة الفروق الفردية بين الطلاب أو الأبناء أو البنات أمر في غاية الأهمية في التربية. ولنضرب مثالاً على ذلك: ابن أو طالب منحه الله تعالى صفة الحفظ فلننم هذا الجانب لديه بحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية، ومتون أهل العلم في التوحيد والفقه وغيرها، وكذا بعض الأشعار والحكم والأمثال، وهكذا وبنت مثلاً لديها جانب المهارات المنزلية فننميها لديها ولا نقول: إن الحفظ غير مهم والمهم الفهم فهنا نحطم هذا الابن، ولا نقول: إن عمل المنزل أصبح ثانوياً فنقضي على هذه الخيرية لدى تلك البنت، ومثله حب الاطلاع والقراءة وسائر المهارات.

وما يُقال في حق العلم والتعليم يُقال في حق العبادة والمواهب والقدرات، «وفي كل خير».

* * *

الوقفة الرابعة: احرص على ما ينفعك

بيَّن رسول الله ﷺ في هذا الحديث أركان سعادة المرء في هذه الحياة الدنيا، وفي الآخرة، وهي لا تتم للمسلم إلا من خلال تعامله بالمنهج الذي رسمه الرسول ﷺ في هذا الحديث من خلال المعالم الآتية:

المعلم الأول: السعي وراء المصلحة الشرعية، وجعلها هدفاً يسعى إليه وغاية ينشدها، عبَّر عنها الرسول ﷺ بقوله في هذا الحديث: **«احرص على ما ينفعك»**.

الرسول ﷺ يريد الخير لك ولأسرتك ولمجتمعك وللأمة جمعاء، فحرصك على ما ينفعك لابد وأن يشتمل على خيري الدنيا والآخرة، وأن يتعدى هذا الحرص حتى ينتفع بك أسرتك ومجتمعك بل الأمة كلها.

فهذا الحرص يتضمن أموراً في غاية الأهمية:

١ ـ الحرص على ما ينفعك في أمور دنياك، فتسعى في مصالحك الدنيوية المضبوطة بالضوابط الشرعية، ومن أهمها:

(أ) أن تعالج نيَّتك في عملك الدنيوي، وفيما ابتغيته من النفع، فلا يكون حظ المسلم من عمله وكسبه مصلحته الدنيوية

فقط، فإذا طلب المال يكون طلبه لكف نفسه عن السؤال وعن المحرمات، وينوي به إعفاف أهله وأسرته وسد حاجاتهم، وعند ذلك يصير عمله الدنيوي عبادة يُثاب عليها، ففي الصحيح: قال رسول الله ﷺ: «وَإِنَّك لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلاَّ أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ»(١). و«إنما الأعمال بالنيات»(٢).

(ب) أن تكون هذه المصالح تقودك إلى النفع الأخروي ووسيلة إليه وليست هدفاً بحد ذاتها؛ فما تجمعه من مال، وما تقوم به من حركة، وما تؤديه من عمل ووظيفة، وما تحصل عليه من جاه ورئاسة ونحوها، كل ذلك ليعبر بها المرء إلى الآخرة، والدنيا مزرعة الآخرة، تحصد في الآخرة ما زرعته في هذه الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورى: ٢٠].

روى البخاري وغيره عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ. فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ. قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ

---

(١) رواه البخاري في الجنائز، باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة (١٢٩٥)، ومسلم في الوصية، باب الوصية بالثلث (١٢٦٨).

(٢) رواه البخاري في بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ(١)، ومسلم في الإمارة، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية» وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال (١٩٠٧).

الْمَلْهُوفَ. قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: فَلْيَفْعَلْ بِالْمَعْرُوفِ وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ»(١).

فأخبر الرسول ﷺ أن هذا العامل له غايتان: ينفع بعمله نفسه، وينفع الآخرين فيتصدق عليهم.

ويقول سبحانه: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص: ٧٧].

(جـ) وأن يكون هذا السعي ضمن الإطار الشرعي، فلا تقترف محرماً ولا تباشر منكراً، ولا تسلك طريقاً خاطئاً، ففي تعاملاتك لا تغش ولا تكذب ولا تُرابي، بل تصدق وتتحرى الصدق والأمانة، ففي الصحيحين وغيرهما عن حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْبَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا»(٢).

---

(١) رواه البخاري في الزكاة، باب على كل مسلم صدقة، فمن لم يجد فليعمل بالمعروف (١٤٤٥)، ومسلم في الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (١٠٠٨).

(٢) رواه البخاري في البيوع، باب البيعان بالخيار ما لم يتفرقا (٢١١٠)، ومسلم في البيوع، باب الصدق في البيع والبيان (١٥٣٢).

(د) ألا يشغلك عن طاعة الله تعالى وعبادته ومناجاته، وقد حذَّر الله تعالى من ذلك فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ ﴾ [المنافقون: ٩]، كما أثنى الله على مَن لا تشغله التجارة عن ذكره سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ۝٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [النور: ٣٦ ـ ٣٨].

(هـ) أن يحاول الإتقان في كل عمل يقوم به؛ لأن الرسول ﷺ أمر بالحرص على ما ينفع، ولا ينفع شيء إلا بعد الإتقان، وكلما كان العمل متقناً كان نفعه أكثر وأبقى، والعمل النافع يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، فمن الناس مَن يميل بطبيعته إلى الحرفة والصناعة، ومنهم من يميل إلى التعليم والتدريس وغير ذلك، والكل مطالَب أيًّا كان عمله أن يتقن ويجيد ويبذل كل الجهود حتى ينفع نفسه وأسرته ومجتمعه وأمته.

٢ ـ ومن الأمور التي يتضمنها الحرص: الحرص على ما ينفع الإنسان في الآخرة، فالآخرة هي المقصود الأعظم، والدنيا ما هي إلا مجال لتحقيق عبودية الله تعالى في الأرض.

فالهدف والغاية الجليلة هي ما ينفع الإنسان في الآخرة، فالدنيا معبر للآخرة، وهي كما قال تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ [الحديد: ٢٠، ٢١]. فالبشرى لمن جعل هذه الحياة الدنيا معبراً وطلب مغفرة ورضواناً من الله وجنة عرضها السماوات والأرض؛ لأن الدنيا كما وصفها الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه عبدالله بن مسعود قال: نَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ في جَنْبِهِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ لَو اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً؟ فَقَالَ: مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إلا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»(١).

فالرابح مَن يسعى سعياً حثيثاً إلى ما يحقق مصلحته الأخروية، وراحته في الحياة الأبدية، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥]، ومَن سعى للآخرة سهَّل الله له أمور الدنيا، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ

(١) رواه الترمذي في الزهد، باب حديث: «ما الدنيا إلا كراكب استظل» (٢٣٧٧)، وابن ماجه في الزهد، باب مثل الدنيا (٤١٠٩).

لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ [الليل: ٥ ـ ٧]، وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كَانَت الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَت الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِن الدُّنْيَا إلا مَا قُدِّرَ لَهُ»(١).

وليذكر المسلم أن من ابتغى نفع الآخرة وجعلها هدفاً له، كانت أعماله في الدنيا كلها أجراً وثواباً وخيراً له حتى ما يضعه الرجل في في امرأته كما سبق، وفي حديث آخر سرد رسول الله ﷺ عدة مجالات الأجر حتى قال: «وفي بضع أحدكم صدقة» قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجراً»(٢).

فالمسلم في كل ما يقوم به من الأعمال له أجر، وفيه خير سواء كان طالباً أو معلماً أو تاجراً أو مزارعاً، أو امرأة في بيتها وتقوم بمهمتها، قال بعض السلف: إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي. يعني يحتسب الأجر في نومه كما يحتسب الأجر

---

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة، باب أحاديث: «ابتلينا بالضراء»، و«من كانت الآخرة همه»، و«ابن آدم تفرغ لعبادتي» (٢٤٦٥)، وابن ماجه في الزهد، باب الهم بالدنيا (٤١٠٥).

(٢) رواه مسلم في الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (١٠٠٦).

في قيامه بالليل.

٣ ـ ومن الأمور التي تدل عليها هذه العبارة: (**احرص على ما ينفعك**): أهمية العمل في دين الإسلام، فالإسلام دين حركة وعمل، دين نشاط وجِد، دين اجتهاد وحرص، ودأب ومواصلة، ويظهر هذا من:

(أ) الحث على العمل والتكسب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾ [الجمعة: ٩، ١٠].

وقال ﷺ فيما رواه البخاري وغيره عن عبدالله بن مسعود قال: قال النبي ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحق، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»[1]. ومعلوم أن المال والعلم لا يتأتيان إلا من خلال الجد والعمل.

(ب) ويظهر ذلك أيضاً من تفضيل الرسول ﷺ العامل النافع على غيره، ففي الصحيح أن النَّبيّ ﷺ قَالَ: «**عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**

---

(١) رواه البخاري في العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة (٧٣)، ومسلم في صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها (٨١٦).

صَدَقَةٌ». فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ». قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ». قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ وَلْيُمْسِكْ عَنْ الشَّرِّ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ»(١).

(جـ) ويظهر أيضاً في نهيه ﷺ عن مد يد السؤال أمام الناس أعطوه أو منعوه، ففي الصحيح وغيره عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَداً فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ»(٢).

وفي حديث آخر عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ «أَنَّ رَجُلاً مِن الأَنْصَارِ أَتَىٰ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ: أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟ قَالَ: بَلَى حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ، وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِن الْمَاءِ، قَالَ: ائْتِنِي بِهِمَا. قَالَ: فَأَتَاهُ بِهِما فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ وَقَالَ: مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟ قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَم، قَالَ: مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ؟ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلاثاً، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ، فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الأَنْصَارِيَّ وَقَالَ: اشْتَرِ بِأَحَدِهَمَا طَعَاماً

---

(١) رواه البخاري في الزكاة، باب على كل مسلم صدقة، فمن لم يجد فليعمل بالمعروف (١٤٤٥)، ومسلم في الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (١٠٠٨).

(٢) رواه البخاري في البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده (٢٠٧٤)، ومسلم في الزكاة، باب كراهة المسألة للناس (١٠٤٢).

فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُوماً فَأْتِني بِهِ، فَأَتَاهُ بِهِ فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُوداً بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ: اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ وَلا أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً. فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ، فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْباً وَبِبَعْضِهَا طَعَاماً. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لا تَصْلُحُ إِلاَّ لِثَلاثَةٍ: لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ، أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ»[1].

فظهر من هذين الحديثين أن الإسلام دين العمل والسعي والكسب والجد والاجتهاد، وليس دين العجز والفتور والكسل والخمول والبطالة، وفي الأثر أن عمر رأى رجلاً مطأطأ الرأس فضربه بالدرة وقال: لا رهبانية في ديننا.

فالفرد المسلم فرد عامل نشيط.

---

(١) رواه أبوداود في الزكاة، باب ما تجوز فيه المسألة (١٦٤١) والترمذي في البيوع، باب ما جاء في بيع من يزيد (١٢١٨) والنسائي في البيوع، باب البيع فيمن يزيد (٤٥١٢)، وابن ماجه في التجارات، باب بيع المزايدة (٢١٩٨) وأحمد في «باقي مسند المكثرين» (١١٥٥٧)، والحلس: كساء يجلل ظهر الدابة، والقعب: إناء، فقر مدقع: أي شديد، والغرم المفظع: الدين الثقيل والكبير. أو لذي دم موجع: بكسر الجيم وفتحها أي مؤلم، والمراد دم يُوجِع القاتل أو أولياءه بأن تلزمَه الدِّيَة وليس لهم ما يؤدي به الدِّيَة، ويطلب أولياء المقتول منهم وتنبعث الفتنة والمخاصمة بينهم، وقيل: هو أن يتحمل الدِّيَة فيسعى فيها ويسأل حتى يؤديها إلى أولياء المقتول لتنقطع الخصومة.

والأمة المسلمة أمة متحركة فيما ينفعها.

فلا مكانة للبطالة والعجز والتكاسل في دين الإسلام. قال رسول الله ﷺ: «**الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَه هَوَاهَا وَتَمَنَّىٰ عَلَى اللهِ**»[(١)]. كما أنه ﷺ كان يتعوَّذ من العجز والكسل. وهو قدوة الأمة، ولم يكن يقربه كسل أو عجز، وفي شبابه قبل أن يُكرَم بالرسالة كان عاملاً نشيطاً يرعى الغنم على قراريط، ويتجر في أموال أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ويسافر إلى الشام في ذلك، وفي بيته يكون في مهنة أهله.

(د) كما يظهر ذلك جليًّا في إتقان الله العمل، فسبحان الذي أتقن كل شيء، وكذا إن الله سبحانه يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه[(٢)]، ولا يأتي ذلك إلا بالجد والعمل.

فإلى المسلمين جميعاً أوجِّه هذا النداء...

إلى الشباب خاصة أن ينفضوا غبار النوم والكسل ليسعوا فيما يحقق مصلحتهم الشخصية، والأُسرية، ومصالح المجتمع والأُمة، كما عليهم أن يبعدوا عن كل ما يلهيهم عن الجد والعمل؛

---

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة، باب حديث الكيِّس مَن دانَ نفسه وعمل لما بعد الموت (٢٤٥٩) وابن ماجه في الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له (٤٢٦٠).

(٢) وفي الحديث عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» مسند أبي يعلى (٧/ ٣٤٩).

ـ من النوم المتواصل.
ـ وكثرة النزول في الملاهي.
ـ والتسكع في الشوارع والأسواق.
ـ ومجالس غير نافعة.
ـ والبطالــة.

❊ ❊ ❊

هذا هو المَعْلَم الأول من أركان السعادة (احرص على ما ينفعك).

❊ ❊ ❊

الوقفة الخامسة: (واستعن بالله)

الاستعانة بالله هي المعلَم الثاني من أركان السعادة المتمثل بقوله ﷺ: «واستعن بالله»، وهي كلمة عظيمة جامعة.

فالحرص على ما ينفع ـ وهو الركن الأول من أركان السعادة ـ يمثل تحري الأسباب، والاستعانة بالله ـ وهو الركن الثاني من أركان السعادة ـ تمثل الاعتماد على الله تعالى كما تدل على توحيد الألوهية.

ولأهمية هذا الأمر فَرَضَ الله سبحانه وتعالى التعبد به في كل ركعة من الصلاة، فالمسلم يقرأ في صلاته في كل ركعة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ وهو يشعر في الوقت نفسه وجوب التوكل على ربه في جميع شئونه والاستعانة به بالدعاء والعبادة وجميع الطاعات، فهذا نبينا ﷺ يعلِّمنا كيف ندعو الله ونتوكل عليه وننيب إليه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كَانَ النبيُّ ﷺ يَدْعُو مِن اللَّيْلِ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ومَنْ فِيهِنَّ، لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، قَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ

حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لا إِلَهَ لِي غَيْرُكَ»(١).

وعن أنس بن مالكٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ يَعْنِي إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ: بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللهِ، يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ وَوُقِيتَ وَتَنَحَّىٰ عَنْهُ الشَّيْطَانُ»(٢).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وإِذَا أَمْسَىٰ: حَسْبِيَ اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، كَفَاهُ اللهُ مَا أَهَمَّهُ صَادِقاً كَانَ بِهَا أَوْ كَاذِباً»(٣).

وهكذا المسلم ينبغي دائماً أن يكون في جميع أعماله متوكلاً على الله جل وعلا، معتمداً عليه، موقناً في قلبه أن الأمور كلها بيد الله سبحانه، فلا معين إلا هو، ولا مغيث إلا هو، فهو خالق الخلق، ومدبِّر شئونهم، والعالم بأحوالهم، فالعباد فقراء إليه، لا يستغنون عنه لحظة من اللحظات.

فمباشرة الأسباب ومزاولة الأعمال لا تكفي لوحدها، بل لابد من الإنابة إلى الله والتوكل عليه والتضرع له سبحانه وتعالى،

---

(١) رواه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ (٧٣٨٥)، ومسلم في صلاة المسافرين، باب صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل (٧٦٩).

(٢) رواه أبوداود في الأدب، باب ما يقول إذا خرج من بيته (٥٠٩٥)، والترمذي في الدعوات، باب ما يقول إذا خرج من بيته (٣٤٢٦).

(٣) رواه أبوداود في الأدب، باب ما يقول إذا أصبح (٥٠٨١).

يقول جلا وعلا: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣]، فالتوكل قرين الإيمان، وعلامة الإسلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: ٨٤].

قال العلماء: التوكل فريضة يجب إخلاصه لله سبحانه، وهو من أجمع أنواع العبادة وأعظمها لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة، فإنه إذا اعتمد على الله في جميع أموره الدينية والدنيوية دون كل مَن سواه صحَّ إخلاصه ومعاملته مع الله.

والتوكل على الله سمة الأنبياء والصالحين:

يقول نوح عليه السلام لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [يونس: ٧١].

ويقول هود عليه السلام لقومه: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: ٥٦].

ويقول شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود: ٨٨].

ويقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة: ١٢٩].

ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال: ٦٤].

ويقول تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ قُلْ

﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر: ٣٨].

والإنسان إذا ما باشر الأسباب ثم طلب العون من الله وتوكل عليه كفاه الله النجاح بفضله وكرمه، يقول سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

ويقول سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

فالمؤمن مطالب بالأمرين السابقين: الحرص على ما ينفع بالجد والعمل، وتحري الأسباب، والاستعانة بالله والتوكل عليه، وذلك في كل شئونه؛ في تعامله وحركته وعمله وطلب رزقه، وطلب شفائه أو شفاء مريضه، يعمل السبب، ويؤمن بأن السبب إذا أذن الله بنفعه نفع وإلا فلا، فيوقن أن المعتمد عليه أولاً وآخراً هو الله جل وعلا.

* * *

من آثـار التوكـل

* **التوكل على الله يكسب صاحبه قوة وشجاعة**، فالمتوكل على الله يقدم ولا يحجم، يكر ولا يفر، يمضي ولا يقف، فهذا رسول الله إبراهيم ﷺ يستمر في دعوة قومه إلى التوحيد والإنكار على إشراكهم بالله، ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ [العنكبوت: ٢٤]، ففي أصعب الأحوال لم يتزعزع توكله على الله حتى إنهم ألقوه في النار وجعلها الله برداً وسلاماً على إبراهيم. ورسولنا محمد ﷺ يثبت في غزوة حنين بعد أن انهزم المسلمون بسبب بعض حديثي الإسلام، فعن أبي إسحاق: قَالَ رَجُلٌ لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ: لَكِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَفِرَّ، إِنَّ هَوَازِنَ كَانُوا قَوْماً رُمَاةً وَإِنَّا لَمَّا لَقِينَاهُمْ حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ فَانْهَزَمُوا، فَأَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْغَنَائِمِ وَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ، فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَفِرَّ فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَإِنَّهُ لَعَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ آخِذٌ بِلِجَامِهَا وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ»(١).

* **التوكل على الله طريق السعادة**، فأسعد الناس المتوكلون

---

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير، باب من قاد دابة غيره في الحرب (٢٨٦٤)، ومسلم في الجهاد، في غزوة حنين (١٧٧٦).

على الله، فالسعادة ليست بالأموال الطائلة، ولا بالجاه العظيم، ولا بامتلاك البيوت الواسعة والمحلات التجارية ذات الفوائد الكبيرة. فهذا رسول الله ﷺ لم يكن يملك من الدنيا إلا قليلاً، وكان ينام على حصير، ويتمنى أن يجوع يوماً فيصبر ويشبع يوماً فيشكر، وكان أسعد السعداء على الإطلاق، ومن أسباب سعادته عليه الصلاة والسلام أنه كان يتوكل على ربه حق التوكل.

* التوكل على الله ينتج الرزق الواسع، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

* التوكل على الله يكسب الثقة والطمأنينة والراحة القلبية والثقة بموعود الله، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ۚ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۝١٧٤﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

* في التوكل على الله قطع لدابر وساوس الشيطان الذي يخوف الناس من المستقبل، ويرجف في طلب المعاش خشية الفقر، ويعلق بالأوهام حال المرض، قال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٦٨﴾ [البقرة: ٢٦٨].

* * *

وقبل أن أختم ما يتعلق بهذا المَعْلَم الذي هو التوكل على الله أشير إلى بعض المظاهر الخاطئة عند الناس في هذا الباب، ومنها:

- الخوف من المستقبل.
- الشعور الدائم بالقلق من أمور الدنيا.
- الخوف على المال والولد.
- الحرص والطمع.
- طلب الرزق من الطرق غير المشروعة.
- النفاق مع الآخرين لطلب ما عندهم من دون الله.
- التعلق بالناس كالطبيب في حال المرض تعلقاً ينسيه الالتجاء إلى الله ودعاءه وطلب الشفاء من عنده.
- الاستدواء بالأدوية المحرمة، كالخمر وغيرها.
- التعلُّق بالسحرة والكُهَّان والمشعوذين.

هذه المظاهر وما شابهها كلها تنافي التوكل على الله والاعتماد عليه، فالإيمان القوي يقتضي أن يبتعد عن كل شائبة تمس توكله على الله سبحانه وتعالى.

وهمسة أخيرة لأولئك الذين سخروا جهودهم لخدمة دينهم وأمَّتهم بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتربية والتعليم، ليعملوا بهذين المَعْلَمَين: الحرص على ما ينفع، والتوكل على الله تعالى. ومن ثَمَّ فليبشروا بالنتائج العظيمة لدعوتهم نتيجة حرصهم مع الحذر من الملل والكسل والفتور واليأس، فإن ذلك من وساوس الشيطان وتسويل النفس الأمَّارة بالسوء.

الوقفة السادسة: الإيمان بالقدر

الإيمان بالقضاء والقدر هو المَعْلَم الثالث من أركان سعادة العبد في حياته كلها.

إن الإنسان بعد الحرص على ما ينفع والاستعانة بالله قد يحصل مطلوبه فيحمد الله ويشكره، ويسدي النعمة إليه، ويستعملها في طاعته وعبادته، وقد لا يحصل مطلوبه بعد بذله جهده، فالنبي ﷺ أرشده في هذه الحالة إلى: «**وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**».

هذا الموقف الحازم من المؤمن القوي مع ما يخالف توقعاته مما لا يريده من أمور الدنيا؛ يتوقع الأرباح الطائلة، فيأتي خلاف ذلك، يتوقع الثناء من صاحب العمل على عمله، ولا يراه إلا عبوساً عليه، يأمل النجاح في عملية ما، فيقابله الفشل، يتمنى المولود الذكر، ولا يحصل، يبذل ويجد في طلب الرزق ولا يحصل إلا الشيء القليل، فكل ذلك يجب ألا يكسبه الشعور بالانهزامية أمام متاعب الحياة، أو التأسف على ما مضى بل يزيده إيماناً بقضاء الله وقدره، حتى يورثه ذلك قوة جديدة ويمضي قدماً بنشاط أقوى.

والعبد إذا باشر الأسباب متوكلاً على الله تعالى، ووقع خلاف المقدور فلا يتأسف على الماضي، فالتأسف باب من أبواب الشيطان يلج منه فيزيد القلب كمداً وتحسراً.

وعليه، فعلى المؤمن أن يرضى بقضاء الله وقدره ولا يتأسف على الماضي فيقول: (قدر الله) فيسند القدر إلى الله سبحانه، فإنه قد قدّر المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، ويقول: (وما شاء فعل) فجميع الأمور مرجعها إلى مشيئته؛ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، يقول تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ [البقرة: ٢١٠]، ويقول سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]، ويقول سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن: ١١]، ويقول سبحانه: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

فكل ما يجري في هذا الكون فهو في علم الله وحسب قضائه وقدره، ومن ذلك ما يصيب الإنسان من خير أو شر، فالمؤمن إذا أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإذا أصابته ضرّاء صبر وقال في نفسه: ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ﴾ [التوبة: ٥١]، فكان خيراً له.

وإلى ذلك أشار النبي ﷺ في قوله: «وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَت الأقلامُ وجفَّت الصُّحُفُ»(١). وفي لفظ لأحمد: «قَدْ جَفَّ القَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الخَلْقَ كُلَّهُم جَميعاً أرادوا أن ينفعوكَ بشيءٍ لم يَكتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وإنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بشَيءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، واعْلَمْ أَنَّ في الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْراً كثيراً، وأنَّ النَّصرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسراً»(٢).

من هنا نعلم أنه قد يُصاب المسلم بمصيبة في نفسه أو ماله أو أهله أو يخالف توقعه فالموقف الحازم منه يكون بما يلي:

١ ـ أن يعلم أن ما أصابه في هذه الدنيا ما هو إلا بقدر الله ليس بمقدور العبد أن يغيره، يقول تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ [التوبة: ٥١].

٢ ـ أن يعلم أنه مبتلى في هذه الحياة بابتلاءات في النفس والمال

---

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة، باب حديث حنظلة (٢٥١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد في ومن مسند بني هاشم (٢٦٦٤).

(٢) رواه أحمد في ومن مسند بني هاشم (٢٨٠٠)، وقد تحدثت عن هذا الحديث مفصلاً في كتاب: «حديث: احفظ الله يحفظك رواية ودراية».

والأهل، يقول تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٥٥]. ويقول تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

٣ ـ عدم التأسف على الماضي، فعليه الاستسلام لقضاء الله، والصبر على ذلك، وحبس النفس من التسخُّط والجزع، فيحبس لسانه عن الشكوى، وجوارحه عن المعصية، وقلبه عن التسخط على المقدور، فلمثل هؤلاء البشارة من الله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾. هذا في الدنيا، وأما في الآخرة فلهم عقبى الدار والأجر بغير حساب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠]. وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٢ ـ ٢٤].

وليعلم العبد أن الصبر عند نزول المصيبة، وحبس اللسان عن الشكوى وعدم التسخط هو أدنى منزلة وهو الواجب على العبد، وفوق ذلك منزلة الرضى بالقضاء، ولذا كان من دعائه ﷺ:

«وأسألك الرضاء بعد القضاء»[١]. والرضى لا يعود نفعه إلا على العبد، وأما التسخط فضرره يعود عليه، وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «إنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاءِ، وإنَّ اللهَ إذا أحبَّ قوماً ابتلاهُم، فمَن رضي فله الرِّضا ومَن سخط فله السَّخَطُ»[٢]. فالذي يرضى بقضاء الله وقدره يحصل على فائدتين: الأجر الكثير والمنزلة العظيمة عند الله، والبُعد عن التسخط.

وهناك منزلة فوق منزلة الرضى، وهي منزلة الشكر على المصيبة، لما يرى العبد ببصيرته من العواقب الحسنة، ولما يعلم أن الله يبتلي كل عبد بحسب قوة إيمانه، فالأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل، فالمؤمن القوي إذا ابتلي شكر الله على ذلك حيث اختاره ليعظم أجره ومثوبته ويرفع درجته، فحينئذٍ تنقلب المحنة منحة.

أخي المسلم: إن هذا المعلم وهو الإيمان بالقضاء والقدر، والصبر على المقدور يعود بمنافع عظيمة من أهمها:

١ ـ **إظهار عبودية الله تعالى في السرَّاء والضرَّاء**، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: «عَجَباً لأَمْرِ المُؤْمِنِ إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إلا لِلْمُؤْمِنِ؛ إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإنْ

---

(١) رواه النسائي في السهو، باب نوع آخر من الدعاء (١٣٠٦، ١٣٠٧).

(٢) رواه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء (٢٣٩٦)، وابن ماجه في الفتن، باب الصبر على البلاء (٤٠٣١).

أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ»[١].

ومن صفات هذه الأمة أنهم حمادون يحمدون الله في السراء والضراء[٢]، كما أنهم ﴿يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، فعبوديتهم لله دائمة في المنشط والمكره، وفي الصحة والمرض، وفي السراء والضراء، وليس المؤمن ﴿مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ﴾ [الحج: ١١] ولا هو مَن إذا أنعم الله عليه ﴿أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ [فصلت: ٥١].

٢ ـ **تكفير الذنوب والسيئات**، فالمصائب والأمراض والهم والغم والحزن وضيق الحال كلها تكفر الذنوب والسيئات، يقول رسول الله ﷺ: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلا وَصَبٍ ولا هَمٍّ ولا حُزْنٍ ولا أَذَى ولا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلاَّ كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»[٣]. وفي حديث آخر قال ﷺ: «**مَا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْمُؤْمِنِ والْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْه**

---

(١) رواه مسلم في الزهد، باب المؤمن أمره كله خير (٢٩٩٩).

(٢) كما في حديث رواه الدارمي في المقدمة، باب صفة النبي ﷺ في الكتب قبل مبعثه (٧).

(٣) رواه البخاري في المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض (٥٦٤١، ٥٦٤٢)، ومسلم في البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها (٢٥٧٣).

خَطِيئَةٌ»[١].

٣ ـ رفعة الدرجات، ففي صحيح مسلم عن الأسْوَدِ قال: دَخَلَ شَبَابٌ من قريشٍ على عائشة وهي بمِنىً وهم يضحكون، فقالت: ما يُضْحِكُكُم؟ قالوا: فُلانٌ خَرَّ عَلَى طُنُبِ فُسْطَاطٍ فَكَادَتْ عُنُقُهُ أو عَيْنُهُ أن تَذْهَبَ، فقالت: لا تَضْحَكُوا فَإِنِّي سمعت رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً فَمَا فَوْقَهَا إلا كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَمُحِيَتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ»[٢].

٤ ـ أنه سبب دخول الجنة، فعن أبي هريرة رَفَعَهُ إلى النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: مَنْ أَذْهَبْتُ حَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ واحْتَسَبَ لَمْ أَرْضَ لَهُ ثَوَاباً دُونَ الجَنَّةِ»[٣]. وفي حديث آخر عَنْه أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قال: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: مَا لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إلا الجَنَّةُ»[٤].

٥ ـ تذكر العبد بربه عز وجل وحاجته إليه وافتقاره إليه، ويتجرد

---

(١) رواه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء (٢٣٩٩)، وأحمد في «باقي مسند المكثرين» (٧٧٩٩، ٢٧٢١٩).

(٢) رواه مسلم في البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها (٢٥٧٢).

(٣) رواه الترمذي في الزهد، باب ماجاء في ذهاب البصر (٢٤٠٠)، وأحمد في باقي مسند المكثرين (٧٥٤٣)، والدارمي في الرقاق، باب فيمن ذهب بصره فصبر (٢٧٩٥).

(٤) رواه البخاري في الرقاق، باب العمل الذي يبتغى به وجه الله تعالى (٦٤٢٤).

عنده التوحيد ويقوى الإيمان، فكلما أصابه شيء يتضرع إلى الله ويدعوه ويلتجئ إليه؛ لأن العبد إذا آمن بالقدر خيره وشره من الله لا يلتجئ عند نزول أي نائبة إلا إلى الله، وكذا لو أذنب ذنباً ليس له ملجأ إلا الله عز وجل، وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال: «إنَّ عَبْداً أَصَابَ ذَنْباً وَرُبَّمَا قالَ: أَذْنَبَ ذَنْباً فقالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ ورُبَّمَا قال: أَصَبْتُ فاغْفِرْ لِي فقالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ له ربًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويَأْخذ بِه غَفَرْتُ لعبدي. ثم مَكَثَ ما شاء الله، ثُمَّ أَصَابَ ذَنباً أو أَذْنَب ذنباً فقال: رَبِّ أَذْنَبْتُ أو أَصَبْتُ آخر فاغفره، فقال: أَعَلِمَ عبدي أن له ربًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويَأْخذ به غَفَرْتُ لعبدي، ثم مَكَثَ ما شاء الله، ثم أَذْنَبَ ذَنْباً ورُبَّما قال: أَصَابَ ذَنْباً قال: ربِّ أَصَبْتُ أو قال: أَذْنَبْتُ آخر فَاغْفِرْه لي، فقال: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويَأْخُذ بِه غَفَرْتُ لعَبْدي ثَلاثاً فَلْيَعْمَل ما شَاءَ»(١).

وكان من هدي النبي ﷺ أنه كان يلتجئ إلى ربه سبحانه وتعالى كلما أصابه هم أو نزلت شدة أو حصل الجدب، ففي الغزوة قبل القتال يتوجه إلى الله يدعو ويتضرع، فعن عمر بن الخطاب قال: لمَّا كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف

---

(١) رواه البخاري في التوحيد، باب قوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ (٧٥٠٧)، ومسلم في التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة (٢٧٥٨).

وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلاً فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مدَّ يديه فجعل يهتف بربّه: «**اللهم أنجِز لي ما وعدتني، اللهم آتِ ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**»، فما زال يهتف بربه مادًّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبوبكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [الأنفال: ٩] فأمَدَّه الله بالملائكة[1].

وكذا عند نزول الجدب، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: شَكَا النَّاسُ إلى رسول الله ﷺ قُحُوط المطر فأَمَرَ بمنبرٍ فوُضِعَ لله في المُصَلَّى وَوَعَد الناس يوماً يَخْرُجُون فيه، قالت عائشة: فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجِبُ الشَّمس فقعد على المنبر فكبَّر ﷺ وحَمِدَ الله عزَّ وجلَّ ثم قال: «**إنَّكم شَكَوْتُمْ جدبَ ديارِكم واسْتِئْخَارَ المَطَرِ عن إبَّانِ زَمَانِهِ عنكم وقد أمركم الله عز وجل أن تَدْعُوهُ وَوَعَدَكُمْ أنْ يستجِيب لَكُمْ. ثُمَّ قال: الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ، لا إلَهَ إلاَّ اللهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ،**

(١) رواه مسلم في الجهاد، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم (١٧٦٣).

اللَّهُمَّ أَنْتَ اللهُ لا إِلَهَ إلا أَنْتَ الغَنِيُّ ونَحْنُ الفُقَرَاءُ أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلاغاً إلى حينٍ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ فِي الرَّفْعِ حَتَّى بَدَا بَيَاضُ إِبِطَيْهِ، ثُمَّ حَوَّلَ إِلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ وَقَلَبَ أَوْ حَوَّلَ رِدَاءَهُ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَنَزَلَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَأَنْشَأَ اللهُ سَحَابَةً فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللهِ، فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّى سَالَتْ السُّيُولُ، فَلَمَّا رَأَىٰ سُرْعَتَهُمْ إِلَى الْكِنِّ ضَحِكَ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ وَأَنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»[1].

٦ ـ تذكير العبد بنعم الله تعالى، إن الله عز وجل قد أنعم على عباده بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤، والنحل: ١٨]. فالعبد إذا لاحظ ما أنعم الله عليه بجانب ما أصيب فالنعم لا يعدها عادّ، وأما المصائب فيمكن أن تعد على الأصابع.

٧ ـ **الإيمان بالقدر من أكبر الدواعي التي تدعو إلى العمل والنشاط والسعي بما يرضي الله**؛ لأنه لا يتأسف على الماضي ولا يقول إذا أصابه شيء: لماذا فعلت كذا وكذا، ويا ليتني كنت فعلت كذا وكذا، لأنه يؤمن إيماناً راسخاً أنه مهما بذل الجهد لا مفرَّ له من قدر الله فلا يتأسف على ما مضى، ولكن في الوقت

---

(١) رواه أبوداود في صلاة الاستسقاء، باب رفع اليدين في الاستسقاء (١١٧٣).

نفسه يجدد الحيوية والنشاط والإقدام على العمل.

٨ ـ **أن الإيمان بالقدر يعرّف الإنسان قدر نفسه فلا يتكبر ولا يبطر،** ويشعر أنه بحاجة إلى ربه في كل حين، ومن عرف قدر نفسه لا يتكبر ولا يتغطرس ولا يتعالىٰ على أحد، بل يكون متواضعاً، ومن تواضع لله رفعه الله.

٩ ـ **الإيمان بالقدر يقضي على كثير من الأمراض الحسية والمعنوية مثل الحسد،** فإن مَن آمن بقضاء الله وقدره لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله؛ لأن الحسد يناقض الإيمان بالقدر، وأول حاسد في الكون هو إبليس لعنه الله، وأول معصية عصي به الله هو الحسد، وإنما صدر ذلك لعدم الإيمان بقضاء الله وقدره، واليهود لو كانوا آمنوا بالقدر لما حسدوا النبي ﷺ على تشريف الله له بالرسالة، والكفار مازالوا يحسدون المسلمين على عقيدتهم الصافية والشريعة الكاملة.

١٠ ـ **الإيمان بالقضاء والقدر يبعث في القلوب الشجاعة على مواجهة الشدائد والصِعاب،** فلا يضجر من نائبة نزلت أو مصيبة حلَّت لإيمانه الجازم أن كل شيء بيد الله ومن عند الله.

الوسائل المعينة على الإيمان بما قضاه الله وقدره:

١ ـ **معرفة طبيعة هذه الحياة الدنيا،** فهي ليست دار مقر، وإنما هي دار ممر يتعبد فيها الإنسان ليجزيه الله جزاءً حسناً في دار

الآخرة، فإذا عرف العبد أن الله قد قضى على هذه الحياة أنها فانية، والحياة الأخرى هي الباقية فيهتم بالحياة الأخروية ويعمل لها ويقدم ما بوسعه من حسنات.

٢ ـ **معرفة الإنسان نفسه**، بأن يعرف بأنه ملك لله عز وجل وهو الذي خلقه من عدم، ومنحه الحياة والحركة، ووهبه العقل والجوارح. فإذا عرف الإنسان ذلك زاد إيمانه بقضاء الله وقدره.

٣ ـ **اليقين بحسن الجزاء**، فالعبد إذا أيقن بحسن الجزاء لقويٍّ الإيمان فلابد أن يقوى إيمانه بالله وبقضائه وقدره.

٤ ـ **الإيمان بقرب الفرج**، من سنة الله تعالى في هذه الحياة أن الأيام فيها تتداول بين الناس، اليوم عليك وغداً لك، كما أنه بعد كل ليل مظلم صباحاً مشرقاً، كذا بعد كل عسر يسراً وبعد كل ضيق مخرجاً وبعد كل همٍّ فرجاً، ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح: ٥، ٦]، ولن يغلب عسر يسرين، كما قاله المفسرون، وهذا اليقين هو الذي زاد في قوة إيمان يعقوب عليه السلام عندما قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف: ٨٣]، وفي الحديث قال النبي ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكرَهُ خَيْراً كَثِيراً، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ**

الفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً»[١].

فهذا اليقين يزيد في العبد قوة الإيمان بالقضاء والقدر.

٥ ـ **الاشتغال بما ينفعه في حاضره ومستقبله، وهو الذي وصَّىٰ به النبي ﷺ بقوله: «احرص على ما ينفعك ولا تعجز»**، فالعبد إذا ما اشتغل بما ينفعه سواء في الحاضر أو المستقبل، وسواء كان النفع يعود إلى نفسه أو إلى غيره ـ كما هو مفهوم من عدم ذكر المفعول في قوله ﷺ: «على ما ينفع» ـ، فاشتغال العبد بما ينفع واستمراره في ذلك بدون كسل وخور يزيد في قوة إيمانه بالقضاء والقدر حيث يتوكل على الله كل التوكل مع العمل والكد.

٦ ـ **الإكثار من ذكر الله تعالى، والالتجاء إليه والتضرع في الدعاء**، كان من دعاء النبي ﷺ: «وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضاءِ»[٢]، وكَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ»[٣]. وكان ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ وَمِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ وَمِنْ شَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ وَمِنْ جَهْدِ الْبَلاءِ»[٤]. فالذي يلتزم

---

(١) رواه أحمد في مسند بني هاشم (٢٨٠٠).

(٢) رواه النسائي في السهو، باب نوع آخر من الدعاء (١٣٠٦)، وأحمد في مسند الأنصار (٢١١٥٨).

(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء، باب التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (٢٧١٦).

(٤) رواه مسلم في الذكر والدعاء، باب التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (٢٧٠٧).

الأدعية والأذكار المخصوصة المأثورة عن النبي ﷺ لا يفشل في أي من أعماله بإذن الله إلا ابتلاء من الله له لتكفير السيئات أو رفع الدرجات.

* * *

هذه بعض الوسائل التي تُعِين العبد على زيادة الإيمان وقوة ثقته بالله وبقضائه وقدره، فعلى المسلم أن يلتزم هذه الأمور والوسائل لكي لا يقع في الأسف المتزايد ولا يكون فريسة الأوهام والمصائب.

* * *

الوقفة السابعة: «لَوْ» تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ

إن الشيطان حريص على إغواء بني آدم بأساليب شتى ووسائل مختلفة منذ أن خلق الله تعالى آدم وأولاده، والشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]، فلا يترك فرصة في إغواء بني آدم إلا اغتنمها وسارع إليها، وقد أقسم بالله أنه يدخل بني آدم جهنم أجمعين، فقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

وللشيطان مداخل على بني آدم، وأحرص ما يكون الشيطان أن يبتليهم بالشرك والكفر والإلحاد والنفاق والأعمال التي تخلدهم في النار، فإن عجز عنهم حاول أن يبتليهم بالكبائر ويجعلهم يسوّفون التوبة والرجوع لكي يدخلوا النار ولو لمدة معلومة، وإن عجز عن ذلك يبتليهم بالرياء والاستمرار على الصغائر حتى تصير كبائر، أو يفتح أبواباً لو دخلها الإنسان وصل إلى ارتكاب المعاصي والذنوب، ومن ذلك قول العبد: لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا. يعني أن الشيطان مستمر في إغواء بني آدم بكل أسلوب يمكنه؛ إن لم يستطع إغواءه بالكفر والشرك بذل كل الجهد في أن يوقعهم في أكبر الكبائر بعد الكفر والشرك ثم الأصغر فالأصغر، وإن لم ينجح في ذلك بذل الجهد في أن يصده عن الطاعات، أو

يجعله يكتفي بالفرائض دون السنن والرواتب. وقد حذَّر النبي ﷺ من كيد الشيطان ومكره ففي حديث جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إنَّ الشيطان قد أيسَ أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم**»(١). وفي رواية الترمذي عن الأحوص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في حجة الوداع للناس: «... **ألا وإن الشيطان قد أيس من أن يعبد في بلادكم هذه أبداً، ولكن ستكون له طاعة فيما تحتقرون من أعمالكم فسيرضى به**»(٢).

يعني أن الشيطان لما أيس أن يشركوا بالله شيئاً سعى في التحريش بينهم بالشحناء والخصومات والحروب والفتن والخلاف وغيرها.

والشيطان للإنسان عدو مبين، عداوته لابن آدم أظهر من الشمس في الظهيرة، وهو يحرص على إيذاء ابن آدم وإغوائه منذ أن يولد، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريم وابنها**». ثم يقول أبوهريرة: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ

---

(١) رواه مسلم في صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان، وبعثه سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قريناً (٢٨١٢).

(٢) رواه الترمذي في أبواب الفتن، باب ما جاء في تحريم الدماء والأموال (٢١٥٩) وابن ماجه في المناسك، باب الخطبة يوم النحر (٣٠٥٥).

﴿ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران: ٣٦][1].

الشيطان يحرص كل الحرص أن يضل المسلم في عقيدته ويبعده عن المنهج السوي في باب العقيدة أو يشكك فيها، وغالباً ما يأتي الشيطان ليضل العبد المسلم بطريق مباشر بل يمهد له الطريق ويأتي بمقدمات ثم يجعله حيران في بعض معتقداته، وقد يضله إن لم يستعذ بالله، ففي حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«يأتي الشيطان أحدكم فيقول: مَن خلق كذا وكذا؟ حتى يقول له: من خلق ربك، فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته»**[2].

كما أن الشيطان يكون أحرص على أن يبعد العبد عن الطاعات أو الوسوسة فيها أو يجعل فيها الرياء والسمعة أو يجعلها خالية من الخشوع.

عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ: **«يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد إذا نام، بكل عقدة يضرب: عليك ليلاً طويلاً، فإذا استيقظ فذكر الله انحلَّت عقدة، وإذا توضأ انحلت عنه عقدتان، فإذا صلَّىٰ انحلَّت العقد، فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا**

---

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾ [مريم: ١٦] (٣٤٣١)، ومسلم في الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام (٢٣٦٦).

(٢) رواه البخاري في بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (٣٢٧٦)، ومسلم في الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها (١٣٤).

أصبح خبيث النفس كسلان»[١].

وعن أبي العلاء أن عثمان بن أبي العاص أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي. فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك شيطان يُقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوَّذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثاً**» قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني[٢].

ومن العباد ناس قد أجارهم الله بفضله ثم بقوة إيمانهم من الشيطان وكيده، ومنهم الأنبياء، فقد ورد عن عيسى عليه السلام وأمه مريم أنهما قد أعاذهما الله من الشيطان كما سبق، وورد عن نبينا ﷺ أنه أعين على إسلام قرينه فلا يأمره إلا بخير؛ ففي حديث عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن**»، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «**وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير**»[٣].

وسعى الشيطان مرة أن يقطع الصلاة على النبي ﷺ فأمكنه الله منه كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه صلَّى صلاة قال: «**إن الشيطان عرض لي فشد عليَّ ليقطع الصلاة عليَّ**

---

(١) رواه البخاري في التهجد، باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل (١١٤٢)، ومسلم في صلاة المسافرين، باب الحث على صلاة الليل وإن قلت (٧٧٦).

(٢) رواه مسلم في السلام، باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة (٢٢٠٣).

(٣) رواه مسلم في صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قريناً (٢٨١٤).

فأمكنني الله منه فذعَتُّه[١]، ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه فذكرت قول سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [ص: ٣٥]، فرده الله خاسئاً»[٢].

وورد عن بعض الصحابة أن الشيطان يبعد عنهم ويهابهم وذلك لقوة إيمانهم وجعلهم الشيطان عدواً حقيقيًّا لهم فلا يقربهم ومنهم عمر رضي الله عنه قال عنه رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجًّا إلا سَلَكَ فجًّا غير فجّك**»[٣].

ومنهم عمَّار بن ياسر رضي الله عنه، عن علقمة قال: قدمت الشام فقلت: من هاهنا؟ قالوا: أبوالدرداء. قال: أفيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه ﷺ... وقال: الذي أجاره الله على لسان نبيه ﷺ يعني عماراً[٤].

فعلى المسلم أن يقوي إيمانه بالطاعات والبُعد عن المحرمات والمعاصي وما يقرب إليها من قول وعمل ويسأل الله عز وجل دائماً العفو والعافية من شر الشيطان وشركه ووساوسه، وفيما يلي بعض

---

(١) فذعَتُّه: بذال معجمة وتخفيف العين المهملة أي خنقته.

(٢) رواه البخاري في العمل في الصلاة، باب ما يجوز من العلم في الصلاة (١٢١٠)، ومسلم في المساجد، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه، وجواز العمل القليل في الصلاة (٥٤١).

(٣) رواه البخاري في بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (٢٣٩٤)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه (٢٣٩٦).

(٤) رواه البخاري في بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (٣٢٨٧).

ما يبعد الشيطان عن العبد فيعمله وبعض ما يوقع العبد في كيد الشيطان فيجتنبه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك»(١).

وعن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «مَن قال في دبر صلاة الفجر وهو ثانٍ رجليه قبل أن يتكلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مراتٍ، كُتِبَت له عشر حسنات، ومحيت عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكان يومه ذلك كله في حرز من كل مكروه، وحُرِسَ من الشيطان، ولم يَنْبَغِ لذنبٍ أن يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله»(٢).

وعن أنس بن سيرين قال: سمعت جُنْدَباً القَسْرِيَّ يقول: قال

---

(١) رواه البخاري في بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (٣٢٩٣)، ومسلم في الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٦٩١).

(٢) رواه الترمذي في الدعوات، باب في ثواب كلمة التوحيد التي فيها «إلهاً واحداً أحداً صمداً» (٣٤٧٤)، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح.

رسول الله ﷺ: «**مَن صلَّى صلاة الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبنَّكم الله من ذمَّته بشيء، فإنه مَن يطلبه من ذمته بشيء يدركه ثم يكُبَّه على وجهه في نار جهنم**»(١). ومن كان في ذمة الله يرجى له أن يكون في أمان من الشيطان ووساوسه المضلة.

وعن عبدالله رضي الله عنه قال: ذكر عند النبي ﷺ رجل فقيل ما زال نائماً حتى أصبح ما قام إلى الصلاة، فقال: «**بال الشيطان في أذنه**»(٢).

وذكر ابن حجر في معنى قوله: بال الشيطان في أذنه، فقال: قيل: هو كناية عن سد الشيطان أذن الذي ينام عن الصلاة حتى لا يسمع الذكر. وقيل: معناه أن الشيطان ملأ سمعه بالأباطيل فحجب سمعه عن الذكر. وقيل: هو كناية عن ازدراء الشيطان به. وقيل: معناه أن الشيطان استولى عليه واستخفَّ به حتى اتخذه كالكنيف المعد للبول، إذ من عادة المستخف بالشيء أن يبول عليه.

قال أبوهريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أذن بالصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا سكت المؤذن أقبل، فإذا ثوب أدبر، فإذا سكت أقبل، فلا يزال بالمرء يقول له: اذكر ما لم يكن يذكر حتى لا يدري كم صلى**». قال

---

(١) رواه مسلم في المساجد، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة (٦٥٧).

(٢) رواه البخاري في التهجد، باب إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه (١١٤٤) ومسلم في صلاة المسافرين، باب الحث على صلاة الليل وإن قلَّت (٧٧٥).

أبوسلمة بن عبدالرحمن: إذا فعل أحدكم ذلك فليسجد سجدتين وهو قاعد، وسمعه أبوسلمة من أبي هريرة رضي الله عنه[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**أما إن أحدكم إذا أتى أهله وقال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فرزقا ولداً لم يضره الشيطان**»[٢].

وعن سليمان بن صرد قال: كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبان فأحدهما احمر وجهه وانتفخت أوداجه فقال النبي ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان، ذهب عنه ما يجد**»، فقالوا له: إن النبي ﷺ قال: تعوَّذ بالله من الشيطان، فقال: وهل بي جنون[٣].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبوبكر: يا رسول الله! مرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: «**قل: اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السماوات والأرض، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه، قال: قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت**

---

(١) رواه البخاري في العمل في الصلاة، باب الخصر في الصلاة (١٢٢٢)، ومسلم في الصلاة، باب فضل الأذان وهروب الشيطان عند سماعه (٣٨٩).

(٢) رواه البخاري في الوضوء، باب التسمية على كل حال وعند الوقاع (١٤١)، ومسلم في النكاح، باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع (١٤٣٤).

(٣) رواه البخاري في بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (٣٢٨٢)، ومسلم في البر والصلة، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب (٢٦١٠).

مضجعك»[١].

وعن أبي قتادة عن النبي ﷺ قال: **«الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلماً يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره»**[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوَّذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطاناً»**[٣].

وعن جابر عن النبي ﷺ قال: **«لا تلجوا على المغيبات، فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم»**[٤]. والمغيبة: المرأة التي يكون زوجها غائباً.

وعن أبي الأحوص عن عبدالله عن النبي ﷺ قال: **«المرأة عورة؛ فإذا خرجت استشرفها الشيطان»**[٥].

---

(١) رواه أبوداود في الأدب، باب ما يقول إذا أصبح (٥٠٦٧)، والترمذي في الدعوات، باب منه [دعاء «اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السماوات والأرض...»] (٣٣٩٢).

(٢) رواه البخاري في بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (٣٢٩٢)، ومسلم في الرؤيا، باب في كون الرؤيا من الله وأنها جزء من النبوة (١٤٣٤).

(٣) رواه البخاري في بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال (٣٣٠٣)، ومسلم في الذكر والدعاء، باب استحباب الدعاء عند صياح الديك (٢٧٢٩).

(٤) رواه أحمد في «مسند المكثرين» (١٣٩١٣، ١٤٨٥٤)، والترمذي في الرضاع، باب [التحذير من ذلك لجريان الشيطان مجرى الدم] (١١٧٢)، والدارمي في الرقاق (٢٧٢٨).

(٥) رواه الترمذي في الرضاع، باب استشراف الشيطان المرأة إذا خرجت (١١٧٣).

وعن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة؛ فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم**، ثم قرأ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨] الآية[(١)].

هذه مجرد أمثلة للأعمال التي يمكن للعبد أن يجتنب بها إغواء الشيطان وكيده ومكره، وأمثلة للأعمال التي يغوي بها الشيطان العبد فيمكن له أن يجتنبها ويبتعد عنها فينجو من إغواء الشيطان، وإلا فالقاعدة أن كل عمل صالح يبعد العبد من الشيطان ومكره، وكل عمل سيء يخشى على عامله أن يقع فريسة الشيطان ومكره.

* * *

ولعلَّ من الأسباب التي تفتح الأبواب للشيطان على الإنسان:

- المعاصي بأنواعها؛ لأن المعاصي من وساوس الشيطان فكما أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.

- ومنها الغضب فهو باب عظيم، ومدخل خطير من مداخل الشيطان؛ لأن الإنسان إذا غضب تأثرت حركة دورته الدموية

(١) رواه الترمذي في تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة (٢٩٨٨).

فيستغلها الشيطان ليؤثر عليه، ولذلك حذَّر الرسول ﷺ من الغضب فقال عليه الصلاة والسلام: «**ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»(١). وقال للرجل الذي طلب الوصية منه: «**لا تغضب**»(٢).

ـ ومن مداخل الشيطان العجب بالنفس حتى يرى أنه قد عمل أعمالاً جعلت الشيطان ينفخ فيه فتبطل هذه الأعمال بالعجب، ومنها الكبر والتعالي على الآخرين، وهذا من وسوسة الشيطان وإلا فـ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، ومن ينظر إلى الناس صغاراً كمن يراهم من جبل شاهق مرتفع فكذلك يرونه صغيراً فيتعالى هذا المسكين حتى على الأعمال الصالحة فينفخ فيه الشيطان فيرديه المهالك.

ـ ومنها ما ذكر في الحديث «**فإن لو تفتح عمل الشيطان**»، فعلى المسلم أن يتجنب هذه المداخل والأسباب وغيرها حتى لا يدخل عليه الشيطان، وأن يقوي حصونه الداخلية من طاعة الله تعالى وذكره وقراءة كتابه والإكثار من الأعمال الصالحة، أعاذنا الله من الشيطان وشره وكيده ومكره وجنَّبنا شرور أنفسنا وأعاننا عليها، إنه سميع قريب.

---

(١) رواه البخاري في الأدب، باب الحذر من الغضب (٦١١٤)، ومسلم في البر والصلة، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، وبأي شيء يذهب الغضب (٢٦٠٩).

(٢) رواه البخاري في الأدب، باب الحذر من الغضب (٦١١٦).

الخاتمـــة

الحمد لله، بنعمته تتم الصالحات، وبفضله وكرمه تتيسر الأمور وتتذلل العقبات، والصلاة والسلام على الناصح الأمين، محمـد رسـول الله خـاتـم النبييـن، وعلـى آلـه وصحبـه الطيبيـن الطاهرين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذه الكلمات السابقة فقه ميسر للحديث النبوي الشريف: **«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»**.

عرفنا فيها أن النبي ﷺ دلَّ أمَّته في هذه الألفاظ اليسيرة على معاني عظمة لما أوتي من جوامع الكلم، وهذه المعاني قد شملت حياة العبد كلها، إذ المسلم يستطيع أن يعيش عيشة سعيدة ويرجو الفوز بالجنة والنجاة من النار في ضوء هذا الحديث إن طبَّق معانيه بكل دقة من اكتساب القوة في إيمانه وعلمه وإرادته وبدنه، وعمل الأسباب مع التوكل على الله، والإيمان بالقضاء والقدر، وعدم التأسف على الماضي، والبعد عن كل شيء يسهل عمل الشيطان، والتعوذ بالله والالتجاء إليه من الشيطان وشره بالدعاء والأذكار

المسنونة، فهذه كانت من أهم المعالم التي دلَّ عليها الحديث وتمثل منهجاً للمسلم في هذه الحياة.

هذا ونسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يصلح ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأن يصلح دنيانا التي فيها معاشنا، وأن يصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، ويجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، ويجعل الموت راحة لنا من كل شر، ونعوذ به من الهم والحزن ومن العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم وعذاب القبر، ومن غلبة الدين وقهر الرجال، اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها وأنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجاب لها.

وآمل ألا أعدم نصيحة من الإخوة والأخوات فيما كتبته من الكلمات، أسأل الله عز وجل أن يجعلها من النافعات، ومن المدخرات في الحياة وبعد الممات، إنه سميع قريب، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبه

فالح بن محمد بن فالح الصغيِّر

ص.ب ٤١٩٦١ الرياض ١١٥٣١

البريد الإلكتروني: falehmalsgair@yahoo.com

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة
المقدمـة	٥
نص الحديث وتخريجه	٩
فقه الحديث	١١
* الوقفة الأولى: محبة الله تعالى لعباده المؤمنين	١١
* الوقفة الثانية: القوة والضعف للمؤمن	٢١
* الوقفة الثالثة: وفي كل خير	٢٩
* الوقفة الرابعة: احرص على ما ينفعك	٣٥
* الوقفة الخامسة: (واستعن بالله)	٤٦
من آثـــار التوكـــل	٥٠
* الوقفة السادسة: الإيمان بالقدر	٥٣
* الوقفة السابعة: «لَوْ» تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ	٦٧
الخاتمـــة	٧٨
الفهـــرس	٨٠

* * *